إنسان
سعيد ديدي
رواية

إنسان

سعيد ديدي

مقدمة

لا أعرف حقًا ماذا أكتب في المقدمة. من المفترض أن أحاول جذب انتباهك لتكمل القراءة، لكنني لا أبالي حقًا إن قرأتها أم لا. ولا أعدك بأن تشبه هذه الرواية ما اعتدتَ على قراءته أصلًا.

رغم أنني أكلّمك الآن كأنك موجود، لكنني لا أضمن ذلك.

المهم، هذه الرواية — كما أسميها أنا — إذا أردتَ أنت تسميتها بشيء آخر فلا أبالي، تتكلم عن نسخة مني، لكنها أكثر تطرّفًا في ما يمكن تسميته "انفصالًا عن المشاعر"، بسبب وعيٍ زائدٍ بها، حيث يفقد عفويته، فيتوقّف عن كونه إنسانًا... بالنسبة له.

فهل يتجاوز هذا ويُصبح إنسانًا كما يريد؟

أم يتوقّف عن المبالاة بعدم مبالاته، ويظلّ أقرب إلى ممثّلٍ يدّعي كونه إنسانًا؟

رغم أنني لا أهتم لأي قارئٍ عدا واحد، سأنشر هذه الرواية على أي حال.

الرواية

استيقظتُ في الساعة الرابعة دونَ منبِّهٍ.

أولُ شيءٍ لاحظته: أنني لا أشعرُ بأي شيءٍ.

نهضتُ مباشرةً من السريرِ.

سألتُ نفسي: لماذا لا أرغبُ في العودة إلى النوم؟ لماذا لا توجد لديَّ أيُّ رغبةٍ في العودة إلى السرير؟

لا شيء يدفعني للاستيقاظ الآن، ولا شيء يمنعني من أن أعودَ للنوم، لكن لا رغبةَ لي في العودة.

فقط... لماذا لا أكون إنسانًا عاديًا؟

عليَّ الاستعدادُ للذهاب إلى الجامعة، ذلك المكانُ الذي من المفترض أن عليَّ كرهُه، لكنني لا أفعل، ولا أُحِبُّه أيضًا.

الدراسةُ تبدأ في الثامنةِ والنصف، وأنا أكونُ هناك مع الثامنة، قبل أن يصلَ حتى حارسُ البوابةِ.

لماذا أفعلُ هذا؟ لا أعرفُ.

أنظرُ حولي إلى غرفتي الممتلئة بأغراضٍ لا أحتاجُها حقًا.

أبحثُ عن هاتفي لأُلغي المنبِّهَ الذي لا أحتاجُه حقًا.

أتَّجِهُ إلى الحمَّامِ لأغسلَ نفسي بماءٍ باردٍ لا أَطيقُه، لكنه يُذكِّرني بأنني إنسانٌ. أملِكُ أشياءَ لأرفضَها.

أعودُ إلى غرفتي، أفتحُ خزانتي، أرتدي ملابسي.

لا أُفكِّرُ كثيرًا فيما سأرتديه.

لا أُفطِرُ، لأنني لا أشعرُ بالجوعِ، رغم أن معدتي فارغةٌ.

ليس كأنني أشعرُ بالجوعِ عادةً.

الساعةُ التي على الجدارِ أمامي، تلك الساعةُ القديمةُ، إنها أكبرُ من عمري.

تشيرُ إلى الخامسةِ.

لديَّ ساعةٌ واحدةٌ. ماذا سأفعلُ فيها؟

لا شيء... سوى التفكيرِ.

هذه عادةٌ غريبةٌ، وربما يتجنَّبُها الناسُ.

يتجنَّبونَ الفراغَ؛ فهم لا يجرؤونَ على مواجهةِ أنفسهم ليدركوا كم هم فارغون، فيملؤون وقتَهم بأيِّ شيءٍ.

الساعةُ السادسةُ صباحًا الآنَ.

ها هو والدي يستيقظُ للذهاب إلى عملهِ.

قال: "صباح الخير".

رَدَدْتُ بالمثلِ. لا شيء لأضيفه.

اتَّجهَ إلى غرفةٍ أخرى ليرتدي ملابسَه، ويشربَ الشايَ، ويغادرَ.

بينما أنا أقرأُ كتابًا قرأته من قبلُ، أَحْبَبْتُه حينها.

أعيدُ قراءتَه، لعلِّي أُحِبُّه من جديدٍ.

أرى والدي يتَّجِهُ نحو البابِ.

أمشي خلفه حتى وصلَ وفتحَ.

قلتُ له: "مع السلامة"، وأغلقتُ البابَ خلفه.

عدتُ لكتابي، قرأتُ بضعَ صفحاتٍ ووضعتُه جانبًا. أمسكتُ بالهاتفِ، أُردُّ على بعض الرسائلِ. كانت ممن أعتبرُهم أصدقاءَ، لكنني أشكُّ في هذا.

استيقظَ أخي، لديه مدرسةٌ أيضًا. جَهَّزَ نفسَه، جلسَ معي قليلاً، تَحَدَّثَ معي حول أشياءَ لا أُبالي بها: كرةُ القدمِ، ذلك الشيءُ الذي يُلَبِّي تلك الرغبةَ البدائيةَ في الانتماءِ لشيءٍ ما؛ رغبةٌ لا أملكها. كنتُ فقط مُنْصِتًا.

وصلتِ الساعةُ السابعةُ، حان وقتُ المغادرةِ. ارتديتُ حذائيَ المعتادَ، ممزقٌ قليلاً لكنني لا أهتمُّ. فتحتُ البابَ، لا غيومَ في السماءِ الزرقاءِ. اتَّجهتُ إلى الطريقِ الرئيسيةِ بحثًا عن سيارة أجرةٍ.

وصلتُ إلى الطريقِ، وقفتُ بجانب مقهًى. هناك أرى الناسَ يشربون قهوةَ الصباحِ. لوحتُ للسياراتِ، مرَّ العديدُ كانت مليئةً

ولم تتوقفْ. مرَّ بعضُ الوقتِ، توقف أحدُهم وهو يفركُ عينيه؛ ما زالت آثارُ النومِ واضحةً على وجهه. ركبتُ أولاً، ثم أخبرتُه بوجهتي. ضبطَ العدادَ وانطلقَ.

مرَّ بعضُ الوقتِ من الصمتِ، حاول فتحَ موضوعٍ، كلما تكلَّمَ قابلتُه بالتجاهلِ. أُحافِظُ على طاقتي؛ لديَّ يومٌ طويلٌ من التمثيلِ. ألعبُ دورَ إنسانٍ.

كنتُ مشغولاً في التفكيرِ، أحاولُ حسابَ سرعةِ السيارةِ انطلاقًا من سرعةِ عدادِ النقودِ. كانت حسابًا لم أنجحْ فيه يومًا، ولا أعلمُ سببَ حسابي له.

وصلتُ إلى البوابةِ، لا أحدَ هناك، فقط سياراتٌ عابرةٌ. أمامي ثلاثٌ وثلاثون دقيقةً أقفُ فيها، أتأمَّلُ البوابةَ حتى يصلَ من أُسَمِّيهِم أصدقاءَ.

مرتْ عشرُ دقائقَ، وصل أحدُهم. إنه عَكْسِي في كلِّ شيءٍ تقريبًا: اجتماعيٌّ، يعرفُ الكثيرَ من الناسِ، يُحسِنُ الكلامَ. وأهمُّ ما يميزه أنه مُضَحِّكٌ، مستعدٌّ لفعلِ أيِّ شيءٍ من أجل مساعدةِ الغيرِ. لكن المشكلةَ أن هذا ليس إيثارًا كما يعتقدُ هو، بل هو عطاءٌ من أجل إثباتِ قيمتِه، خوفًا من أن يُتْرَكَ. ربما اكتسبَ هذا السلوكَ بسبب صدمةٍ في الطفولةِ، لكنه لا يعلمُ ذلكَ. ها هو يحاولُ استفزازي، يتحدَّثُ عن أشياءَ تافهةٍ. أمثلُ أنني مهتمٌّ وأنني أتفاعلُ معه، ليس حبًّا فيه، فقط تعبتُ من تبريرِ برودي لأحدٍ. أُدَّعي أنني طبيعيٌّ، أسهلُ.

مرَّ الوقتُ. اتَّجهتُ نحو المحاضرةِ، جلستُ في الصفِّ الثاني أمام سبورةٍ ضخمةٍ. دخلَ المحاضرُ، بدأ يشرحُ. بدأتُ في تدوينِ

ملاحظاتٍ بخطٍّ غير مفهومٍ حتى بالنسبة لي؛ لأنني لا أنوي قراءتَها من جديدٍ. سأحرقُها فيما بعدُ. بينما أبدو منتبهًا لما يقولُ ذاك الشخصُ الذي يشرحُ، أنا في الواقع غارقٌ في التفكيرِ. ربما التفكيرُ أكثرُ شيءٍ أفعلهُ.

كنتُ أفكرُ: ماذا لو مُتُّ الآنَ؟ كيف ستكون رداتُ فعلِ عائلتي وأصدقائي؟ ماذا لو عدتُ للمنزلِ الآنَ ووجدتُ أمي ميتةً، أو أبي، أو أيِّ أحدٍ من معارفي؟ لكن هل هذا يهمُّ حقًا؟ كلُّنا سنموتُ في النهايةِ. فما معنى الخوفِ من الموتِ؟

مرَّ الوقتُ حتى الساعةِ الثانيةَ عشرةَ. غادرتُ القاعةَ المحاضرةَ لآكلَ شيئًا، وبعدها أعودُ للمنزلِ. أكلتُ مع مجموعةٍ من الأصدقاءِ. هل أريدُ ذلك؟ لا. هل لا أريده؟ لا أيضًا. أكلتُ لأن هذا هو الفعلُ الذي من المفترضِ أن يقومَ به الإنسانُ العادي.

أنا لا أريدُ أن أكونَ طبيعيًّا؛ لأنني أريده، بل فقط لأنها الحالةُ التي من المفترضِ أن أكونَ عليها.

أصدقائي... لم أحاولْ حقًا أن أكونَ صديقَهم، ولا أبذلُ الجهدَ في الحفاظِ عليهم. هم يقومونَ بكلِّ الجهدِ. ربما لأنني لا أعطيهم قيمةً حقيقيةً، فيسعون جاهدين ليثبتوا قيمتَهم، لا ليكونوا أصدقاءَ يحبونني حقًا. الحبُّ... هذا الشعورُ الذي من المفترضِ أن يكونَ نقيًا، لكنه دائمًا ملوثٌ. فمهما أحببنا الآخرَ على السطحِ، ففي عمقه هو حبٌّ لذاتٍ أولاً.

أحدُ الأصدقاءِ بدأ يشيرُ إلى أنه يريدُ شراءَ ملابسَ جديدةٍ. لا يقولُها مباشرةً، يُريدنا نحن أن نسألَ. سألَ أحدٌ من المجموعةِ (هل هو مهتمٌّ حقًّا؟ لا، لكنه لا يعلمُ). استمرَّ الحديثُ. سألني عن

رأيي (هل نظرَ إليَّ؟ هل أبدو كشخصٍ يهتمُّ للموضةِ؟). لكنه لا يريدُ رأيًا حقًا، يريدُ تأكيدًا لما اختاره بالفعلِ. أعطيتُه الجوابَ الذي يريده. وغادرتُ. لم أودِّعْهم، ولم أتمنَّ أن ألتقيهم من جديدٍ. خرجتُ، لوحتُ لسيارةِ أجرةٍ، وعدتُ للمنزلِ. سائقٌ مختلفٌ، لكن الصمتَ كان نفسَهُ. توقَّفتُ عند بابِ المنزلِ، سحبتُ مفتاحي من جيبي الأيمنِ، فتحتُ البابَ. دخلتُ مباشرةً إلى المطبخِ، سألتُ أمي: "ماذا أعددتِ للغداء؟". إجابةٌ كما تجيبُ كلَّ يومٍ منذ سنواتٍ على هذا السؤال: "ليس من شأنك! كُلَّ أيِّ شيءٍ أضعه على الطاولةِ". لا أعلمُ ماذا ستخسرُ إن أجابتني يومًا. لكن هل أهتمُّ حقًا بما تُعِدُّ للغداء؟ لا، لا أهتمُّ.

قالت أمي إن علينا زيارةَ عمتي، تلك العمة التي تتكلم عنها مع خالتي عن كم هي شريرةٌ وأنها تكره أمي، لكنها تزورها وتضحك معها، وكأن كلَّ شيءٍ بخير. هل هذا نفاق؟ لا أعلم. قلتُ: "اذهبوا وسألحق بكم، أريد الذهاب وحيدًا".

الساعةُ الآن الواحدةُ والنصفُ. عليَّ دراسةُ ما لم أكن منتبهًا له حين كان عليَّ الدراسة. درستُ حتى الرابعة مساءً. خرجتُ من غرفتي حيث كنتُ أدرسُ، ارتديتُ حذائي الممزق، أغلقتُ بابَ المنزلِ وأعدتُ المفتاحَ إلى جيبي، وسرتُ في طريقي. عمتي تسكن في أطراف المدينة، لكن يمكنني السيرُ إلى هناك. أمشي سريعًا، لا أنظرُ إلى وجوه الناس، لا أريدُ أن أرى وجهًا أعرفه فيصبح عليَّ أن أُظهِرَ أنني سعيدٌ برؤيته.

كلما مشيتُ أكثر، قلَّ عددُ الناس. وصلتُ إلى شارعٍ شبه خالٍ، كان هناك ثلاثة شبان لا يبدون أكبر مني كثيرًا. لم أُبالِ بهم، لكن حين اقتربوا مني أوقفوني. طلبوا بعضَ النقودِ، قلتُ: "لا أملك".

فتَّش أحدهم جيبي، لم يجد إلا مفتاحي، فصفعني. انقضضتُ عليه، سقطنا أرضًا، قمتُ بخنقه بطريقةٍ ما بينما أصدقاؤه يركبون ظهري، حتى تركته. بعدها رحلوا وهم يطلقون تهديداتٍ فارغةً.

نهضتُ وجلستُ للحظةٍ على الرصيف. فكرت في ما حدث الآن . ضحكتُ قليلاً رغم أنني تعرضتُ للضرب. حاولتُ حقًا كره من فعل بي هذا، لكنني لم أستطع. بدأت في نسيان وجوههم بالفعل، ثم قلتُ لنفسي: "أكمل طريقي". كان شيئًا لم يكن.

أكملتُ طريقي حتى وصلتُ إلى منزل العمة. تسكن شقةً في الطابق الثاني من عمارةٍ. عليَّ الاتصالُ بهاتف العمارة ليفتحوا الباب. وقفتُ أمام الباب الحديدي أحاول تذكر رقم الشقة، أكان خمسةً وأربعين أم ثمانيةً وأربعين؟ كان خمسةً وأربعين. صعدتُ إلى الطابق الثاني ووجدتهم قد فتحوا الباب. دخلتُ وسلَّمتُ عليهم، كانوا جالسين يشربون الشاي. جلستُ معهم، بدأت العمة تسألني كيف حالي، كيف هي دراستي، وما إلى ذلك من أسئلة شكلية تدّعي الاهتمام. الكل يمثل، لكن لا أحد يعلم عداي، وأي محاولة لفضح هذا التمثيل تجعلني أنا المشكلة، وليس هم. لذلك أستمر في التمثيل أيضًا.

بقيتُ عند العمة من الساعة الخامسة إلى الثامنة، ودعنا العمة وغادرت مع أمي. لم نبتعد بعد عن العمارة حتى تعود أمي للتعبير عن كرهها وتقول إنها لن تعود للزيارة. دائمًا ما تفعل هذا، وليس هي وحدها، الجميع يقول نفس الأشياء بنفس الصوت وبنفس النبرة، كأنهم مبرمجون على ذلك، لكن لأنهم الأغلبية فهم يعتبرون أنفسهم الطبيعيين.

وصلنا إلى المنزل، كانت الساعة التاسعة. توجهت إلى المطبخ لإعداد العشاء. أبي، الذي عاد متعبًا من العمل، يشاهد التلفاز، وأخي يتصفح الهاتف. جلست معهم وحملت هاتفي أيضًا، أتصفح مقاطع قصيرة بلا هدف. الهاتف بالنسبة لي ليس إلا نوعًا من المخدرات، وربما أخطر، لكنه مقبول اجتماعيًا. أتصفح حتى الساعة الحادية عشرة.

نتناول العشاء، وكلنا ساكتون، لا أحد يتكلم. استغرق الأمر نصف ساعة. بعدها اتجه الجميع إلى غرفهم ليناموا. استلقيتُ على السرير أنظر إلى السقف وأفكر:

هل أنا مكتئب؟ لا، أنا فقط أعرف نفسي جيدًا. لا أذكر متى نمت حقًا.

استيقظت دون منبه، إنها الساعة الرابعة، ومجدّدًا لا أشعر بشيء.

خاتمة

بالنسبة لك، هذه خاتمة، لكنها بالنسبة لي مقدّمة ثانية وضعتها في النهاية؛ فأنا أكتبها قبل أن أنتهي من كتابة الرواية.

أتمنّى، أيّها القارئ، أنني أزعجتك وضايقتك. إن أعجبتك الرواية، فهذا جيّد، وإن لم تُعجبك، فهذا جيّد أيضًا، وأنا أفضّل ألّا تُعجبك.

اصلا يقرأ خاتمة بعد النهاية؟ الناس لا يقرأون حتى المقدمات.